**"الفاشلون قسمان:**

**قسـم فكر ولم يفعل،**

**وقسم فعل ولم يفكر"**

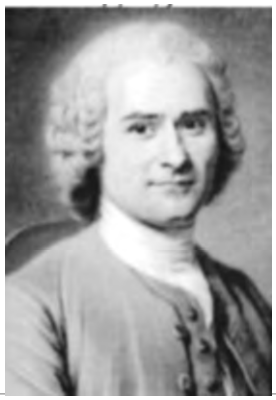

## جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨):

فيلسوف فرنسي، كان أهم كاتب في عصر العقل. وهو حقبة من التاريخ الأوروبي، امتدت من أواخر القرن السابع عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلاديين. ساعدت فلسفة روسو في تشكيل الأحداث السياسية التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية. حيث أثرت أعماله في التعليم والأدب والسياسة والقانون.

ولد جان جاك روسو من عائلة بروتستانتية فرنسية الأصل في مدينة جنيف في ما يسمى اليوم سويسرا عام ١٧١٢، تميزت حياة روسو ومنذ ولادته بالشقاء والتشرد والتعاسة، فبعد ولادته بأسبوع توفيت والدته لتتركه يتلقى العناية من الآخرين. وفي وصف شخصيته التعسة نراه يتذكر في كتاب "الاعترافات": "لقد ولدت ضعيفاً ومريضاً، وقد دفعت والدتي حياتها ثمن ولادتي، هذه الولادة التي كانت أول مصائبي".

لم يبلغ السادسة من عمره إلا وكان أبوه يحمله على قراءة القصص الروائية والكتب الفلسفية مثل خطاب عن التاريخ العام من تأليف بوسويه ومحاورات الموتى لفونتينيل وبعض مؤلفات فولتير وبلوتارك.

في عام ١٧٢٢ -وبعد دخول والده في مشاجرة عنيفة واعتدائه بالضرب على الغير واضطراره للهرب من جنيف خوفاً من ملاحقة العدالة له- بدأت حياة

الشقاء والتشرد تلاحق روسو لتبني شخصيته المعقدة، فقد أدخل في مدرسة بقي فيها سنتين اضطر لتركها بعد أن أخضع ظلماً لعقاب صارم. وبعد المدرسة وضع ليتعلم على أيدي أحد النقاشين حرفة النقش، ولكن ظلم معلمه وجوره اضطراه للهرب من جنيف.

وبعد وقت قصير من رحيله عن جنيف، وهو في الخامسة عشرة من عمره، التقى روسو بالسيدة لويز دي وارنز، وكانت أرملة موسرة. وتحت تأثيرها، انضم روسو إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. ومع أن روسو كان أصغر من السيدة دي وارنز باثني عشر أو ثلاثة عشر عامًا، إلا أنه استقر معها بالقرب من مدينة شامبيري، في دوقية سافوي. وقد وصف سعادته بعلاقتهما في سيرته الذاتية الشهيرة (اعترافات). ولكن العلاقة لم تدم، فقد هجرها روسو أخيرًا عام ١٧٤٠م، وبعد ذلك -وبسبب حاجته للمال- أخذ روسو يتنقّل من عمل لآخر دون أن يجد ما يرضيه أو يوفر له الاستقرار، وفي عام ١٧٤١م أو ١٧٤٢م سعى روسو إلى احتراف الموسيقى. وكان أمله يكمن في وضع نظام جديد للعلامات والرموز الموسيقية كان قد ابتكره. وقدم المشروع إلى أكاديمية العلوم، ولكنه أثار قدرًا ضئيلاً من الاهتمام.

في باريس اتَّصل روسو بالفلاسفة، وهي جماعة من مشاهير كتاب وفلاسفة العصر. وحصل على التشجيع المادي من مشاهير الرأسماليين. ومن خلال رعايتهم، خدم روسو أمينًا للسفير الفرنسي في البندقية خلال عامي ١٧٤٣، ١٧٤٤م.

كانت نقطة التحول في حياة روسو عام ١٧٤٩م، حين قرأ عن مسابقة، تكفَّلت برعايتها أكاديمية ديجون حول دور النهضة العلمية والفنية في إفساد الأخلاق أو إصلاحها. فما كان من مقالته التي اشترك فيها في المسابقة، وهي

"خطاب في العلوم والفنون" إلا أن نالت الجائزة لعام ١٧٥٠، وهذا ما جلب لروسو الشهرة الواسعة مما شجعه على المضي في الكتابة، فاشترك بمسابقة علمية حول أصل التفاوت بين الناس، فوضع مقالة بعنوان "خطاب في التفاوت بين الناس" عام ١٧٥٥، وفي عام ١٧٥٦ بدأ إكمال مؤلفه هيلويز، وبدأ بكتابة مؤلفيه الشهيرين "العقد الاجتماعي" و"إميل" اللذين نشرهما عام ١٧٦٢، ثم نشر قاموس الموسيقى في عام ١٧٦٧م.

بالرغم من أن مؤلفات روسو لاقت الشهرة الواسعة والإقبال الشديد على قراءتها عبر الأرجاء الأوروبية، إلاّ أنّ كتابيه "العقد الاجتماعي" و"إميل" قد جلبا له الانتقاد والسخط وغضب المؤمنين والملحدين، المسيحيين والفلاسفة. فقد حكم برلمان باريس -وبعد عشرين يوماً فقط- بحرق الكتابين وسجن مؤلفهما مما اضطره إلى الهرب إلى سويسرا والتي بدورها كانت قد أصدرت حكماً مماثلاً على الكتابين. فلجأ روسو إلى إنجلترا حيث تعرف هناك على دافيد هيوم، ونزل ضيفاً عليه، ولكنه ما لبث أن تخاصم مع هيوم، وعاد إلى فرنسا ليعمل كناسخ نوتات حتى وفاته.

كان روسو يعتقد أن الناس ليسوا مخلوقات اجتماعية بطبيعتهم، معلنًا أن من يعيشون منهم على الفطرة معزولون عن المجتمع، يكونون رقيقي القلب، خالين من أية بواعث أو قوى تدفعهم إلى إيذاء بعضهم بعضًا. ولكنهم ما إن يعيشوا معًا في مجتمع واحد حتى يصيروا أشرارًا. فالمجتمع يُفسد الأفراد من خلال إبراز ما لديهم من ميل إلى العدوان والأنانية.

لم يكن روسو ينصح الناس بالعودة إلى حالة من الفطرة، بل كان يعتقد أن الناس بوسعهم أن يكونوا أقرب ما يكونون إلى مزايا هذه الحالة إذا عاشوا في مجتمع زراعي بسيط، حيث يمكن أن تكون الرغبات محدودة، والدوافع الجنسية

والأنانية محكومة، والطاقات كلها موجهة نحو الانهماك في الحياة الجماعية. وفي كتاباته السياسية، رسم روسو الخطوط العريضة للنظم التي كان يعتقد أنها لازمة لإقامة ديمقراطية يشارك فيها كافة المواطنين.

يعتقد روسو أن القوانين يتعيّن عليها أن تعبر عن الإرادة العامة للشعب. وأي نوع من الحكم يمكن أن يكتسب الصفة الشرعية مادام النظام الاجتماعي القائم إجماعيًا. واستنادًا إلى ما يراه روسو، فإن أشكال الحكم كافة تتجه في آخر الأمر إلى الضعف والذبول. ولا يمكن كبح التدهور إلا من خلال الإمساك بزمام المعايير الأخلاقية، ومن خلال إسقاط جماعات المصالح الخاصة. وقد تأثر روبسبيير وغيره من زعماء الثورة الفرنسية بأفكار روسو بشأن الدولة، كما أن هذه الأفكار كانت مبعث إلهام لكثير من الاشتراكيين وبعض الشيوعيين.

مهد روسو لقيام الرومانسية، وهي حركة سيطرت على الفنون في الحقبة من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلاديين؛ فلقد ضرب روسو -سواء في كتاباته أو في حياته الشخصية- المثل على روح الرومانسية، من خلال تغليبه المشاعر والعواطف على العقل والتفكير، والنزوة والعفوية على الانضباط الذاتي. وأدخل روسو في الرواية الفرنسية الحب الحقيقي المضطرم بالوجدان، كما سعى إلى استخدام الصور الوصفية للطبيعة على نطاق واسع، وابتكر أسلوبًا نثريا غنائيًا بليغًا. وكان من شأن اعترافاته أن قدمت نمطًا من السير الذاتية التي تحوي أسرارًا شخصية.

بالإضافة إلى كتبه السياسية، كتب روسو روايات ومسرحيات وأغانٍ شعبية عدة، بالإضافة إلى كتاباته في علم النبات، وهو العلم الذي لطالما تاقت إليه نفسه.

- قبر روسو بين مجموعة "الأشخاص المهمين" -

توفي جان جاك روسو عام ١٧٧٨ بعد أن ترك إرثاً فكرياً عظيم القيمة أسهم في رسم السياسة العالمية وتطبيق الديمقراطية الحقيقية في كثير من أرجاء العالم. ولا تزال نظرياته وآراؤه تدرس وتناقش في مجالات الفلسفة والسياسة والقانون، ولا يزال الجدال حولها مستمراً حتى اليوم.

وكان روسو من المعجبين بنبي الرحمة محمد -صلى الله عليه وسلم- ويقول عنه:

" لم ير العالم حتى اليوم رجلاً استطاع أن يحول العقول والقلوب من عبادة الأصنام إلى عبادة الإله الواحد إلا محمداً".